بـاب

قال أبو العباس: وجَّهَ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه جَريرَ بنَ عبد الله البجَلِيَّ إلى معاوية رحمه الله يأخُذُهُ بالبَيْعةِ له[1]، فقال له: إنَّ حَوْلي مَنْ تَرَى من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، ولكنّي آخْتَرْتُكَ لقول رسول الله ﷺ فيكَ[2]: «خَيْرُ ذي يَمَنٍ»[3]، ائتِ مُعاويةَ فَخُذْهُ بالبَيْعةِ، فقال جَريرٌ: والله يا أميرَ المؤمنين ما أدَّخِرُكَ من نُصْرتي شيئاً، وما أطْمَعُ لك في مُعاوِيةَ، فقال عليٌّ رضي الله عنه: إنَّما قَصْدي حُجَّةٌ أُقيمُها عليه[4].

فلما أتاه جَريرٌ دافَعَهُ مُعاويةُ، فقال له جَريرٌ: إنَّ المُنافِقَ لا يُصَلِّي حتى لا يَجِدَ مِن الصلاة بُدّاً، ولا أحْسِبُكَ تُبايِعُ حتى لا تَجِدَ من البَيْعَةِ بُدّاً! فقال له
[١٨٣] معاوية: إنها ليستْ بخَدْعَةِ الصَّبِيِّ عن اللَّبَنِ[5] إنَّه أمْرٌ له ما بعده، فأبْلِغْني ريقي، فَناظَرَ عَمْراً فطالتِ المناظرةُ بينهما وألَحَّ عليه جرير، فقال له معاوية[6]: ألقاكَ

---

(١) ليس في الأصل وج.

(٢) ليس في الأصل وف وظ وج وهـ. وفي ف وهـ: خير ذي يمن جرير. وبهامش ح «أنت» يريد زيادته بعد «خير ذي يمن» وتحته: لم «يَرْوِ ع».

(٣) انظر ما سلف ص: ٢٤٧.

(٤) ليس في الأصل وج.

(٥) قوله «خدعة الصبي عن اللبن» ورد في كلمة الإمام علي كرم الله وجهه إلى معاوية، وأما عبارة معاوية فهي: «إنها ليست بخلسة» انظر وقعة صفين ٢٩، ٣٣.

(٦) في الأصل: «والحّ عليه جرير فقال يا معاوية: إنه لا يطبع على قلب إلا بذنب ولا يشرح إلا بتوبة ولا أظن=

بالفَصْل في أوّل مَجْلِسٍ إن شاء الله تعالى، ثم كتب لعمرو بمصر طُعْمَةً، وكَتَبَ عليه: ولا يَنْقُضُ شَرْطُ طاعةً، فقال عمرو: يا غلامُ، اكتُبْ: ولا تَنْقُضُ طاعةً شَرْطاً. فلما آجتمع له أمْرُهُ رَفَعَ عَقيرَتَهُ يُنْشِدُ[1] لِيُسْمِعَ جَريراً:

تَطاوَلَ لَيْلِي وَآعْتَرَتْنِي وَسَاوِسِي ... لِآتٍ أَتَى بالتُّرَّهاتِ الْبَسَابِسِ[2]
أَتَانِي جَرِيرٌ وَالحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... بِتِلْكَ الَّتِي فِيهَا آجْتِدَاعُ المَعَاطِسِ
أُكَابِدُهُ[3] وَالسَّيْفُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... وَلَسْتُ لِأَثْوابِ آلدَّنِيِّ بَلَابِسِ
إنِ الشَّأْمُ أَعْطَتْ طَاعَةً يَمَنِيَّةً ... تَوَاصَفَهَا أَشْيَاخُهَا في المَجَالِسِ
فَإِنْ يَفْعَلُوا أَصْدِمْ عَلِيّاً بِجَبْهَةٍ ... تَفُتُّ عَلَيْهِ كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسِ[4]
وَإِنِّي لَأَرْجُو خَيْرَ مَا نَالَ نَائِلٌ[5] ... وَمَا أَنَا مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِ بِآيِسِ[6]

وكتب إلى عليّ رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، مِن مُعاويةَ بنِ صَخْرٍ إلى عليٍّ بنِ أبي طالب.

أما بعد: فلَعَمْرِي لَوْ بايعَكَ القومُ الذين بايعوكَ وأنت بَريءٌ من دَمِ عثمانَ كنتَ كأبي بَكْرٍ وعُمَرَ وعثمانَ رضي الله عنهم، ولكنَّك[7] أغْرَيْتَ بعثمان

= [١/٧٧] قلبك إلا مطبوعاً أراك قد وقفت على الحق والباطل كأنك تنظر شيئاً في يد غيرك فقال له معاوية. . ». ومقالة جرير هذه التي وردت في الأصل الظاهر أنها ثابتة في النسخة التي انتسخ عنها ناسخ الأصل وفاته أن ينبّه على أنها ليست في نسخة أبي حيان التي عارض نسخته عليها فلم ترد في ف وظ.

وقد جاء قول معاوية لجرير ألقاك بالفصل إلخ عقب مقالة جرير يا معاوية إنه لا يطيع إلخ في وقعة صفين ٥٦. وفي رواية الخبر اختلاف.

(١) في وقعة صفين ٣٣: لما جنّ معاوية الليلُ واغتمّ وعنده أهل بيته قال تطاول الأبيات.

(٢) الترهات: الأباطيل. والبسابس جمع بسبس وهو القفر الواسع. يريد اتساع الأباطيل. عن رغبة الأمل ٢١١/٣

(٣) في هـ: أكابده. وضبط في ج ليقرأ أكابده وأكابده.

(٤) بعده في زيادات ر: الجبهة جماعة الخيل.

(٥) في الأصل و ظ: ما أنا نائل.

(٦) كذا في الأصل وس. وفي سائر النسخ: «بيائس».

(٧) في هـ: ولكن.

المهاجرين، وخَذَلْتَ عنه الأنصارَ، فأطاعك الجاهلُ وقَوِيَ بك الضعيفُ، وقد أبَى أهلُ الشأم إلَّا قِتالَكَ حَتَّى تَدْفَعَ إليهم قَتَلَةَ عثمان، فإن فعلتَ كانتْ شُورَى بين المسلمين، ولَعَمْري ما حُجَّتُكَ عَلَيَّ كَحُجَّتِكَ على طَلْحَةَ والزُّبَيْر لأنَّهما بايَعاكَ ولم أُبايِعْكَ، وما حُجَّتُكَ على أهل الشأم كحُجَّتِكَ على أَهْلِ البَصْرَةِ لأنَّ أهْلَ البَصْرَةِ أَطاعُوكَ ولم يُطِعْكَ أهلُ الشأم. وأما شَرَفُكَ في الإسلام، وقَرابَتُكَ من رسول الله ﷺ ومَوْضِعُكَ من قريش فلَسْتُ أدْفَعُهُ. ثم كَتَبَ إليه في آخر الكتاب بشعر كَعْبِ بن جُعَيْلٍ[1]، وهو:

[١٨٤] أَرَى الشَّأْمَ تَكْرَهُ أَهْلَ[2] الْعِرَاقِ ... وَأَهْلَ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهِينَا[3]
وَكُلًّا لِصَاحِبِهِ مُبْغِضاً ... يَرَى كُلَّ مَا كَانَ مِنْ ذَاكَ دِينَا
إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمُ ... وَدِنَّاهُمُ مِثْلَ مَا يُقْرِضُونَا
فَقَالُوا[4] عَلِيٌّ إِمَامٌ لَنَا ... فَقُلْنَا رَضِينَا ٱبْنَ هِنْدٍ رَضِينَا[5] [٢/٧٧]
وَقَالُوا نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَهُ[6] ... فَقُلْنَا[7] أَلَا لَا نَرَى أَنْ نَدِينَا
وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرْطُ الْقَتَادِ ... وَضَرْبٌ وَطَعْنٌ يُقِرُّ الْعُيُونَا

وأحسنُ الروايتين: يَفُضُّ الشؤونَا، وفي آخر هذا الشعر ذَمٌّ لعليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه أمْسَكْنا عنه[8].

قوله: «ولٰكِنَّكَ[9] أغْرَيْت بعثمان المهاجرين»، فهو من الإغْراءِ وهو

---

(١) انظر وقعة صفين ٥٦ـ٥٧.
(٢) كذا في الأصل و ج ود. وفي سائر النسخ وهامشي الأصل وج: «مُلْكَ».
(٣) في س: وأهل العراق لهم كارهونا.
(٤) في ج: وقالوا.
(٥) في ج: أمينا، وبهامشها: رضينا.
(٦) في ج: لنا، وبهامشها: له.
(٧) في الأصل: فقلت.
(٨) في ر: «عن ذكره».
(٩) في هـ: ولكن.

التَّحْضِيضُ عليه، يقال أَغْرَيْتُهُ به، وآسَدْتُهُ عليه، وآسَدْتُ الكلبَ على الصيد أُوسِدُهُ إيساداً، ومن قال أشْلَيْتُ الكلبَ في معنى أغْرَيْتُ فقد أخطأ، إنما أشْلَيْتُهُ: دعوتُهُ إليَّ، وآسَدْتُه: أغْرَيْتُهُ.

وقولُ ابن جُعَيْلٍ:

وأَهْلَ العراق لهم كارهينا

محمولٌ على «أرى»، ومن قال:

وأهلُ العراق لهم كارهونا

فالرفع من وجهين: أحدهما قطعٌ وآبتداءٌ، ثم عَطَفَ جملة عَلَى جملة بالواو، ولم يحمله على «أرى»، ولكن كقولك[1]: كان زيدٌ منطلقاً وعمروٌ منطلقٌ الساعةَ، خَبَّرْتَ بخبر بعد خبر، والوجهُ الآخر: أنْ تكونَ الواو وما بعدها حالاً، فيكون معناها «إذ»، كما تقول: رأيتُ زيداً قائماً وعمروٌ منطلقٌ، تريد: إذْ عَمْرٌو منطلق؛ وهذه الآية تُحْمَلُ على هذا المعنى، وهو قولُ الله عزّ وجل: ﴿ يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾[2]، والمعنى والله أعلم: إذ طائفةٌ في هذه الحال، وكذلك قراءةُ من قرأ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾[3]، أي والبَحْرُ هذه حالُه، ومن قرأ ﴿ والبَحْرَ ﴾[4] فعلى «أنَّ».

وقوله: ودِنَّاهُمُ مثل ما يقرضونا

---

(١) في الأصل: ولكن كان كقولك.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٣) سورة لقمان: ٢٧.

(٤) قرأه بالنصب أبو عمرو من السبعة وقرأه الباقون بالرفع. انظر السبعةلابن مجاهد٥١٣، وحجة القراءات ٥٦٦، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ١٨٩/٢، والنشر ٣٤٧/٢، وانظرالبحر ١٩٠/٧ ـ ١٩١.

يقول: جزيناهم، وقال المفسرون في قوله عز وجل: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[1]، قالوا: يومُ الجَزاء والحساب[2]، ومن أمثال العرب: «كما تَدينُ تُدانُ»[3]، وأنشد أبو عبيدة[4]:

وَٱعْلَمْ وَأَيْقِنْ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَٱعْلَمْ بِأَنَّ كما تَدِينُ تُدَانُ

وللدِّين مواضعُ منها ما ذكرنا، ومنها الطاعةُ، ودِينُ الإسلام من ذلك، يقال: فلانٌ في دِين فلانٍ: أي في طاعته، ويقال كَانت مَكَّةُ بلداً لَقَاحاً: أي لم تَكُنْ[5] في دين مَلِكٍ؛ وقال زُهَيْرٌ[6]:

[١٨٥] لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ في بَنِي أَسَدٍ في دِينِ عَمْرٍو وحالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ

فهذا يريد: في طاعة عَمْرِو بنِ هند؛ والدينُ: العادَةُ؛ يقال ما زال هذا [١/٧٨] ديني ودَأْبي وعادتي ودَيْدَني وإجْرِيَّايَ، قال المُثَقِّبُ العَبْدِيُّ[7]:

تَقُولَ إذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي أَهٰذَا دِينُهُ أَبَداً وَدِينِي
أَكُلَّ ٱلدَّهْرِ حَلٌّ وَٱرْتِحَالٌ أَمَا تُبْقِي عَلَيَّ وَمَا تَقِينِي[8]

وقال الكُمَيْتُ بنُ زَيْدٍ[9]

---

(١) سورة الفاتحة: ٣.

(٢) انظر مجاز القرآن ١/٢٣، وتفسير غريب القرآن ٣٨.

(٣) انظر جمهرة الأمثال ٢/١٦٨، ومجمع الأمثال ٢/١٥٥، والمستقصى ٢/٢٣١.

(٤) بعده في زيادات ر: «الشعر ليزيد بن الصعق الكلابي وله خبر». والبيت في مجاز القرآن ١/٢٣، واللسان والتاج (دين). ويروى لجده خويلد.

(٥) كذا في ج وهـ، وفي سائر النسخ: يكونوا.

(٦) ديوانه ق ٩/٣٢ ص: ١٣٧. وجوّ هوجو الملا موضع كان لبني يربوع فانتزعه منهم بنو أسد. معجم البلدان ٢/١٩٠، ومعجم ما استعجم ٤٠٧. وزعم الغندجاني في فرحة الأديب ١٣٩ أن الصواب «بخوّ» بالخاء وهو موضع لبني أسد، وانظر البلدان ٢/٤٠٧ ومعجم ما استعجم ٥١٩.

(٧) ديوانه ق ٥/٣٨، ٣٧ ص ١٩٥، ١٩٨، والمفضليات ق ٧٦/٣٨، ٣٧ ص: ٢٩٢

(٨) في الأصل ور «أما يَبقي علي وما يَقيني» بالياء والتاء. وبهامش ي ما نصه: بالتاء أشهر. وهما بالتاء في ف وبالياء في ظ وهـ.

(٩) شرح الهاشميات: ٤٠ باختلاف في روايته.

عَلَى ذَاكَ إِجْـرِيَّـايَ وَهْيَ ضَـرِيبَتِي وَإِنْ أَجْلَبُـوا طُـرّاً عَلَيَّ وَأَحْلَبُـوا [1]

وقوله: فقلنا رضينا ابن هند رضينا

يعني معاويةَ بنَ أبي سُفْيانَ، وأُمُّهُ هِنْد بنتُ عُتْبَةَ بنِ رَبيعَةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ ابنِ عبدِ مَناف.

وقوله: «أن تَدينوا له»، أي أن تطيعوه وتَدْخلوا في دينه: أي في طاعته.

وقوله: ومن دون ذلك خرْطُ القَتاد

فهذا مَثَلٌ[2] من أمثال العرب، والقَتادُ: شُجَيْرَةٌ[3] شاكةٌ غليظةُ أصولِ الشَّوْكِ، فلذلك يُضْرَبُ خَرْطُهُ مَثَلاً في الأمر الشديد، لأنه غايةُ الجَهْدِ.

ومن قال «يَفُضُّ الشؤونا» فـ «يَفُضُّ» يُفَرِّقَ، تقول: فَضَضْتُ عليه[4] المالَ، والشؤونُ واحدها شَأْنٌ، وهي مَوَاصِلُ قبائل الرأس، وذلك أنَّ الرأسَ أربعُ قَبائلَ[5]، أي قِطَعٌ مَشْعوبٌ بعضُها إلى بعض، فَمَوْضِعُ شَعْبِها[6] يقال له الشُّؤون واحدها شَأْنٌ، وزعم الأصمعيُّ قال: يقال إنَّ[7] مَجاريَ الدموع منها، فلذلك يقال: استَهَلَّتْ شُؤُونُه[8]، وأنشد قولَ أوْسِ بنِ حَجَرٍ[9]:

---

(١) قوله «أكلّ الدهر حلّ... عليّ وأحلبوا.» ليس في ج. وزاد بعد بيت المثقب: «قال غير أبي العباس درأتُ أزلتُه عن موضعه، ودرأت عني الشيء نحَّيْتُه، وادرئي له الوسادة أي اطرحيها له، هذا عن الطوسي [انظر شرح الأنباري على المفضليات ٥٨٦]».

(٢) انظر مجمع الأمثال ١/٢٦٥، والمستقصى ٢/٨٢.

(٣) في س ود ومتن ي «شجرة» وفي هـ: «شجر». وفي الأصل: والقتادة شجيرة، ولعله أنسب.

(٤) في هـ والأصل: عليهم. وبهامش الأصل: عليه.

(٥) في ر «وذلك أن للرأس أربع قبائل».

(٦) كذا ضبط في ج وهـ وهو الوجه، وفي هـ: «شَعْبِها والتئامها». وضبط في الأصل ور: «شُعَبِها»

(٧) في الأصل: وزعم الأصمعيُّ أنْ.

(٨) عبارة الأصمعي كما في خلق الإنسان له (الكنز اللغوي ١٦٧): «وفي الجمجمة القبائل وهي أربعٌ، وهي=

لا تَحْـزُنِينِي بِـالْفِـرَاقِ فَـإِنَّنِي لا تَسْتَهِـلُّ مِنَ الْفِـرَاقِ شُؤُونِـي

وَمَنْ قال: «يُقِرُّ العيونا»، ففيه قولان: أحدهما للأصمعيِّ، وكان يقول: لا يجوزُ غيرهُ، يقال: قَرَّتْ عينُه وأقَرَّها اللَّهُ، وقال: إنما هو بَرَدَتْ مِنَ القُرِّ، وهو[1] خلافُ قولهم: سَخِنَتْ عينهُ وأسخنَها الله؛ وغيره يقول: قَرَّتْ: هَدَأَتْ، وأقَرَّها الله: أهْدَأها الله، وهذا قولٌ حسنٌ جميل، والأولُ أغربُ وأطْرَفُ.

فكتب إليه أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه جوابَ هذه الرسالة[2] : بسم الله الرحمن الرحيم من عليٍّ بنِ أبي طالبٍ إلى مُعاوية بنِ صَخْرٍ، أما بعد: فإنه أتاني منك كتابُ آمْرِىءٍ ليس له بَصَرٌ يَهْديه، ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ، دعاه الهوى فأجابه، وقادَهُ فاتَّبعه؛زَعَمْتَ أنَّك إنما أفْسَدَ[3] عليك بَيْعَتي خطيئتي
[١٨٦] في عثمان، ولَعَمْري ما كنتُ إلا رجلاً من المهاجرين أوْرَدْتُ كما أوردوا، وأصْدَرْتُ،
كما أصْدَرَوا، وما كَان الله لِيَجْمَعَهُمْ على ضَلالٍ، ولا لِيَضْرِبَهُمْ بالعَمى [٢/٧٨]
وبعد؛ فما أنت وعثمانُ؟ إنما أنْتَ رجلٌ من بني أُمَيَّةَ، وبنو عثمان أوْلَى بمُطَالَبَةِ دَمِهِ، فإنْ زعمتَ أنَّك أقوى على ذلك فادْخُلْ فيما دَخَلَ فيه المُسْلِمُون، ثم حاكم القومَ إليَّ. وأما تَمْيِيزُكَ بينَك وبينَ[4] طَلْحَةَ والزُّبَيْرِ وبين[5] أهلِ الشامِ وأهلِ البَصْرَةِ فَلَعَمْري ما الأمْرُ فيما هناكَ إلا سَواءٌ، لأنها بَيْعةٌ شاملةٌ، لا يُسْتَثْنى فيها الخيارُ ولا يُسْتَأنَفُ فيها النَّظَرُ، وأما شَرَفي في الإسلام، وقَرابتي من رسول الله ﷺ، وموضعي من قُرَيْشٍ، فلعمري لو آسْتَطَعْتَ دَفْعَهُ لدفعته.

= قَطَعُه المشعوبُ بعضُها إلى بعض الواحدة قبيلة... ومَواصِلُ القبائل الشؤون الواحد شأنٌ... ويقال إنّ الدمع يخرج من الشؤون ومن ثمّ يقال: استهلت شؤونه، قال أوس بن حجر: لا تحزنيني:... البيت». اهـ.

(٩) ديوانه ق ٥٣/٢ ص: ١٢٩.

(١) في الأصل: وهذا.

(٢) انظر وقعة صفين ٥٧ ـ ٥٨، وهي أتم مما روى المبرد.

(٣) في هـ: «زعمت أنّما افسد» وكذا كان في الأصل ثم زاد «أنك». وفي ج: زعمتَ أنّه إنّما افسدتْ.

(٤) في الأصل: تمييزك بين، وهو سهو.

(٥) «بين» ليس في روج.

ثم دعا النَّجاشِيُّ أحدَ بني الحارث بنِ كعبٍ فقال له: إنَّ ابنَ جُعَيْلٍ شاعرُ أهلِ الشأم، وأنتَ شاعِرُ أهلِ العراق، فأجِبِ الرجلَ، فقال: يا أميرَ المؤمنين أسْمِعْني قوله، قال: إذاً أُسْمِعَكَ شِعْرَ شَاعِرٍ؛ فقال النجاشيُّ يجيبه[1]:

دَعَنْ[2] يَـا مُعَـاوِيَ مَـا لَنْ يَكُـونَـا فَـقَـدْ حَـقَّـقَ اللَّهُ مَـا تَـحْـذَرُونَـا
أَتَـاكُـمْ عَـلِيٌّ بِـأَهْـلِ الْـعِـرَاقِ وَأَهْـلِ الْحِجَـازِ فَـمَـا تَصْنَعُـونَـا

وبعد هذا نُمْسِك عنه.

قوله: «ليس له بَصَرٌ يهديه»، فمعناه يقوده، والهادي: هو الذي يَتَقَدَّمُ فَيَدُلُّ، والحادي يتأخَّرُ[3] فَيَسُوق، والعُنُقُ يُسَمَّى الهادِيَ لتَقَدُّمِهِ، قال الأعشى[4]:

إذَا كَـانَ هَـادي الْفَتَى في الْبِـلَا دِ صَـدْرَ الْقَنَـاةِ أَطَـاعَ الأَمِيـرَا

يصف أنه قد عمِي فإنما تَهْديه العصا[5]، ألا تراه يقول:

وَهَـابَ[6] الْعِثَـارَ إذَا مَـا مَـشَى وخَـالَ السُّهُـولَـةَ وَعْثـاً وَعُـوراً

وقال القُطَامِيُّ[7]:

إنِّي وَإنْ كَـانَ قَـوْمِي لَـيْسَ بَيْـنَهُـمُ وَبَيْـنَ قَـوْمِـكَ إلَّا ضَـرْبَـةُ الْهَـادِي

وقال أيضاً:

قَرَّبْنَ يَقْصُرْنَ مِنْ بُـزْلٍ مُخَيَّسَةٍ[8] وَمِنْ عِـرَابٍ بَعِيدَاتٍ مِنَ الحَـادِي

---

(١) انظر كلمته في وقعة صفين ٥٨ ـ ٥٩.
(٢) رسم في الأصل وج ور: «دعاً»
(٣) في ف: الذي يتأخر.
(٤) ديوانه ق ١٢/٢٧، ٢٨ ص: ١٣١.
(٥) في ر: عصاً.
(٦) في أ: وخاف، وهي رواية الديوان.
(٧) ديوانه ق ٢/٣٠ ص: ١٠. والبيت التالي هو الخامس عشر من كلمته ص: ٩.
(٨) في الديوان: ألمعن يقصرن من بخت مخيسة.

وقوله: «ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ» قد أبان به الأولَ.

وقوله: «دعاه الهوى»، فالهوى من هَوِيتُ مقصور، وتقديره «فَعَلٌ»، فانقلبت الياءُ ألفاً، فلذلك كان مقصوراً، وإنما كان كذلك لأنَّك تقول: هَوِيَ يَهْوَى، كما
[١٨٧] تقول: فَرِقَ يَفْرَقُ، وهُوَ «هَوٍ»، كما تقول: هُوَ فَرِقٌ كما ترى[1]، وكان المصدر على «فَعَلٍ» بمنزلة الفَرَقِ والحَذَرِ والبَطَرِ، لأن الوزنَ واحد في الفعل واسم [١/٧٩] الفاعل، فأما «الهَواءُ» من الجَوِّ فممدودٌ، يَدُلُّكَ على ذلك جمعُه إذا قلت: «أهْوِيَةٌ»، لأن «أفْعِلَةٌ» إنما تكونُ جمعَ «فَعالٍ» و«فِعَالٍ» و«فَعولٍ» و«فَعيلٍ»، كما تقول: قَذَالٌ وَأَقْذِلَةٌ، وحمارٌ وأحْمِرَةٌ، فَهَواءٌ كذلك، والمقصور جمعه «أهْواءٌ» فاعلم، لأنَّه على «فَعَلٍ» وجمعُ «فَعَلٍ»: «أفعالٌ»، كما تقول: جَمَلٌ وأجْمَالٌ وقَتَبٌ وأقْتابٌ، قال الله عز وجل: ﴿ وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾[2]، وقولهم: هذا هَواءٌ يا فتى في صفة الرجل إنما هو ذَمٌّ، يقول لا قَلْبَ له، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[3] أي خالية، وقال زُهَيْرٌ[4]:

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ ... مِنَ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ

وهذا من هَواءِ الجَوِّ؛ قال الهُذَلِيُّ[5]:

هَوَاءٌ مِثْلُ بَعْلِكِ مُسْتَمِيتٌ ... عَلَى مَا في وِعَائِكِ كَالْخَيَالِ

وكلُّ واوٍ مكسورةٍ وقعتْ أوّلاً فهمزُها جائز، يُنْشَدُ: «على ما في إعائِكَ»، ويقال: وِسادَةٌ وإسادَةٌ، ووِشاحٌ وإشاحٌ.

---

(١) في الأصل وف: وهو هِ كما ترى كما تقول هو فرق كما ترى. لانك تقول هوي يهوى فهو هوٍ كما تقول فرق يفرق فهو فرق.

(٢) سورة محمد: ١٤.

(٣) سورة إبراهيم: ٤٣.

(٤) ديوانه ق ٣/١٥ ص ٥٨.

(٥) هو حبيب الأعلم. والبيت من كلمة له في ديوان الهذليين ٢ /٨٣.

وأما قوله: «فما أنتَ وعثمانُ»، فالرفعُ فيه الوجهُ لأنَّه عَطَفَ آسماً ظاهراً على آسمٍ مُضْمَرٍ مُنْفَصِلٍ، وأجراه مُجْرَاهُ، وليس ههنا فِعْلٌ فَيُحْمَلَ على المفعول، فكأنه قال: فما أنتَ وما عثمانُ؛ هذا تقديره في العربية، ومعناه لَسْتَ منه في شيء[1]. وهذا الشعر يُنْشَدُ[2] كما أَصِفُ لكَ:

وَأَنْتَ امْـرُؤٌ من أهل نَجْـدٍ وأهْلُنا تَهـامٍ فمـا النَّجْـدِيُّ وَالمُتَغَـوِّرُ[3]

وكذلك قوله[4]:

تُـكَلِّفُـنِي سَـوِيـقَ الْكَـرْمِ جَـرْمٌ وَمَـا جَـرْمٌ ومـا ذاكَ السَّـوِيـقُ

فإن كان الأولُ مضمراً متصلاً كان النصبُ لِئَلَّا يُحْمَلَ ظاهرٌ[5] على مضمر، تقول: مالَكَ وزيداً، وذلك أنه أَضْمَرَ الفِعْلَ، فكأنه قال في التقدير: ومُلابَسَتُكَ زيداً، وفي النحو تقديره: مع زيد، وإنما صَلَحَ الإضمارُ لأنَّ المعنى عليه إذا قلتَ: مالَك وزيداً، فإنما تنهاه عن مُلابَستِهِ، إذ لم يَجُزْ «وزيدٍ» وَأَضْمَرْتَ لأنَّ حروفَ الإستفهام للأفعال، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير إضمار، نحو [١٨٨]

---

(١) بعده في زيادات ر: «قد ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوّزه جوازاً حسناً وجعله مفعولاً معه وأضمر كان من أجل الاستفهام، فتقديره عنده ما كنت وفلاناً».
ونصّ كلام سيبويه كما في الكتاب ١/١٥٦: «ومن قال ما أنت وزيداً قال ما شأن عبد الله وزيداً كأنه قال ما كان شأن عبد الله وزيداً، وحمله على كان لأنّ كان يقع ههنا، والرفع أجود وأكثر في ما أنت وزيد...».

(٢) في روف: كما أصف لك ينشد.

(٣) البيت لجميل من كلمة في ديوانه ص ٩١، وخزانة الأدب ١/٥٠٠ ـ ٥٠٢، وفرحة الأديب ١٨٣ ـ ١٨٤، وهو من شواهد الكتاب ١/١٥١.
وفي ي ودوس: «وما النجدي» ولم يشر إلى ما في ج وهـ. ومن هنا إلى قوله فزعم سيبويه ص ٤٤١ بياض في النسخة الأم لـ هـ واستدرك بهامشها من نسخة أخرى.

(٤) بعده في زيادات ر: «هو زياد الأعجم» والبيت له في شرح أبيات سيبويه ١/٣٠٧، والشعر والشعراء ٤٣٣، والحلل ٣٦٩، وفي مطبوعة الكتاب من نسخة هو زياد الأعجم ويقال غيره وإلى زياد نسبه الأعلم انظر الكتاب ١/١٥٢.

(٥) كذا في ج و ي وكذا كان في الأصل. وفي سائر النسخ «ظاهرُ الكلام» وكان «الكلام» في ي ثم ضرب عليه واستدرك بين الأسطر في الأصل.

قولك: ما زِلْتُ[1] وعَبْدَ الله حتى فَعَلَ، لأنه ليس يريد ما زِلْتُ وما زال عبدُ الله، ولكنه أراد ما زلتُ بعبد الله، فكان المفعولُ مخفوضاً بالباء، فلما زال ما يَخْفِضُهُ وَصَلَ الفعلُ إليه [٢/٧٩] فَنَصَبَه، كما قال تعالى ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾[2] فالواو في معنى مع، وليستْ بخافضة، فكان ما بعدها على الموضع، فعلى هذا يُنْشَدُ هذا الشعرُ[3]

فَمَا لَكَ والتَلَدُّدَ حَوْلَ نَجْدٍ ... وقد غَصَّت تِهامةُ بالرِّجالِ

ولو قلتَ: ما شأنُكَ وزيداً لَاَخْتِيرَ النصبُ لأنَّ زيداً لا يلتبسُ بالشأن، لأنَّ المعطوفَ على الشيء في مِثْلِ[4] حاله، ولو قلت: ما شأنُكَ وشأنُ زيد لرفعتَ، لأنَّ الشأنَ يعطف على الشأن، وهذه الآيةُ تُفَسَّرُ على وجهين من الإعراب: أحدهما هذا، وهو الأجود فيها، وهو قوله عز وجل ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾[5] فالمعنى والله أعلم: مَعَ شركائكم، لأنك تقول جَمَعْتُ قومي، وَأَجْمَعْتُ أمري، ويجوز أن يكونَ لَمَّا أَدْخَلَ الشركَاءَ مع الأمر حَمَله على مِثْلِ لفظه لأن المعنى يَرْجِعُ إلى شيء واحد، فيكون كقوله[6]

يَا لَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا ... مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحا

وقال آخر[7]:

شَرَّابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَقِطْ

---

(١) في ج: بدليل نحو ما زلت. وفي ي كما في المتن وبهامشها «بدليل».

(٢) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٣) بعده في زيادات ر: «هو لمسكين الدارميّ». والبيت له في كتاب سيبويه ١/١٥٥، والحلل ٣٧١.

(٤) في ر: على الشيء أبداً في مثل.

(٥) سورة يونس: ٧١. وسيكرر الكلام عليها ص ٨٣٦.

(٦) بعده في زيادات ر: «هو عبد الله بن الزبعرى». والبيت بلا نسبة في المقتضب ٢/٥١ وسيأتي ص ٤٧٧، ٨٣٦. وانظر شعر عبد الله بن الزبعرى ص ٣٢.

(٧) البيت في المقتضب ٢/٥١. وسيأتي ٤٧٧، ٨٣٧.

وهذا بَيِّنٌ.

***

ويروى أنَّ عبدَ الله بنَ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ أتى أخاه خالداً، فقال: يا أخي، لقد هَمَمْتُ اليومَ أنْ أفْتِكَ بالوليد بنِ عبد المَلِكِ، فقال له خالد: بِئْسَ والله ما هَمَمْتَ به في آبنِ أمير المؤمنين، ووَلِيِّ عَهْدِ المسلمين! فقال: إنَّ خيلي مَرَّتْ به فَعَبِثَ[1] بها وَأَصْغَرَني، فقال له خالد: أنا أكْفِيكَ. فدخل خالدٌ على عبد الملك والْوَليدُ عنده، فقال: يا أميرَ المؤمنين، الْـوَليدُ آبنُ أمير المؤمنين، ووَلِيُّ عَهْدِ المسلمين، مَرَّتْ به خيل آبن عمه عبدِ الله بنِ يزيدَ فَعَبِثَ[2] بها وأَصْغَرَه، وعبدُ المَلِكِ مُطْرِق، فرفع رأسه، فقال: ﴿ إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[3]، فقال خالدٌ: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾[4]، فقال عبد الملك: أفي عبد الله تُكَلِّمني؟ والله لقد دَخَلَ عليَّ فما أقام لِسَانَهُ لَحْناً! فقال له خالدٌ: أفَعَلَى الوليد تُعَوِّلُ؟ فقال عبد الملك: إن كان الْوَليدُ يَلْحَنُ فإن أخاه سُلَيْمَانُ، فقال [١٨٩] خالدٌ: وإنْ كان عبدُ الله يلحنُ فإنَّ أخاه خالد، فقال له الوليد: آسْكُتْ يا خالد، فوالله ما تُعَدُّ في العِير [١/٨٠] ولا في النَّفِيرِ، فقال خالد: اسْمَعْ يا أمير المؤمنين، ثم أقْبَلَ عليه فقال[5]: وَيْحَكَ فَمَنِ العِيرُ والنَّفِيرُ غَيْرِي؟ جَدِّي أبو سُفْيَان صاحبُ العِير، وجَدِّي عُتْبَةُ بنُ رَبيعةَ صاحبُ النَّفِيرِ، ولكن لو قلتَ: غُنَيْمَاتٌ، وحُبَيْلاَتٌ، والطائفُ، ورَحِمَ اللهُ عثمان لقلنا[6] صدقتَ!

---

(١) في الأصل وج وهـ: فتعبّث. وفي الأصل: مرت عليه.

(٢) في ج وهـ: فتعبّث.

(٣) سورة النمل: ٣٤.

(٤) سورة الإسراء: ١٦.

(٥) في رو هـ: وقال.

(٦) في الأصل وف وهـ: قلنا.

أما قوله: «في العِير» فهي عِيرُ قُرَيْشٍ الَّتِي أَقْبَلَ بها أبو سفيان من الشأم فَنَهَدَ إِلَيْها رسولُ الله ﷺ وَنَدَبَ إليها المسلمين، وقال: «لَعَلَّ الله يُنَفِّلُكُموهَا»[1]؛ فكانت وَقْعَةُ بَدْرٍ، وساحَلَ أَبُو سُفيانَ بالعِير، فكانت الغنيمةُ ببدر، كما قال الله عزَّ وجل: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُم ﴾[2] أي غَيْرَ الحَرْبِ؛ فلما ظَفِرَ رسولُ الله ﷺ بأهل بدر، قال المسلمون: آنْهَدْ بنا يا رسول الله إلى العير[3]، فقال العباس رضي الله عنه: إنَّما وعَدَكُمُ الله إحْدَى الطائفتين.

وأما «النفير» فَمَنْ نَفَرَ من قريشٍ لِيَدْفَعَ عن العِير فجاؤوا فكانت وقعةُ بَدْرٍ، وكان شيخَ القوم عُتْبَةُ بنُ رَبيعةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ، وهو جَدُّ خالدٍ من قِبَلِ جَدَّتِهِ هِنْد أُمِّ معاوية بنتِ عُتْبَةَ، ومن أمثال العرب:

لَسْتَ في العِيرِ يَوْمَ يَحْدُونَ بِالعِيـ ـرِ ولا فِي النَّفيرِ يَوْمَ النَّفيرِ

ثم آتَّسَعَ هذا المَثَلُ حتى صار يقال لِمَنْ لَا يَصْلُحُ لخيرٍ ولا لشرٍّ ولا يُحْفَلُ به: «لا في العِير[4]، ولا في النَّفِير»[5].

وقوله: «غنيمات، وحبيلات» يعني أن رسول الله ﷺ لما أَطْرَدَ الحَكَمَ بنَ أبي العاصي بنِ أُمَيَّةَ، وهو جَدُّ عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ لَجَأَ إلى الطائف، فكان يَرْعَى غُنَيْمَاتٍ ويأوى إلى حُبَيْلَةٍ، وهي الكَرْمة.

وقوله: «رحم الله عثمان» أي لرَدِّهِ إيَّاهُ. وقولنا «أطرده»: أي جعله طَريداً،

---

(١) انظر السيرة النبوية ٢/٢٥٨، ومغازي الواقدي ١/٢٠.

(٢) سورة الأنفال: ٧.

(٣) في الأصل وج: انهد بنا إلى العير يا رسول الله.

(٤) في الأصل وج: لست في العير.

(٥) انظر الفاخر ١٧٧، وجمهرة الأمثال ٢/٣٩٩، ومجمع الأمثال ٢/٢٢١، والمستقصى ٢/٢٦٤.

وطَرَدَهُ: نَحَّاهُ، كما تقول حَمِدْتُهُ: أي شَكرته، وَأَحْمَدْتُهُ: أي صادفتُه محموداً، وكان عثمان رحمه الله آستأذن رسول الله ﷺ في رَدِّهِ متى أَفْضَى الأمرُ إليه، رَوى ذلك الفقهاءُ[1]. [١٩٠]

(١) بهامش ي ما نصه: «لم يصحّ الاستئذان».
وروى البلاذري بسنده «أنّ الحكم بن أبي العاص بن أميّة عمّ عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية كان جاراً لرسول الله ﷺ في الجاهلية وكان أشدّ جيرانه أذى له في الإسلام، وكان قدومه بعد فتح مكّة وكان مغموصاً عليه في دينه، فكان يمرّ خلف رسول الله ﷺ فيغمز به ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه وإذا صلى قام خلفه فأشار بأصابعه، فبقي على تخليجه وأصابته خَبْلَةٌ، واطّلع على رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في بعض حُجَر نسائه فعرفه وخرج إليه بعنزة وقال: من عذيري من هذا الوزغة اللعين، ثم قال: لا يساكنني ولا ولده، فغرّبهم جميعاً إلى الطائف، فلما قُبض رسول الله ﷺ كلّم عثمان أبا بكر فيهم وسأله ردّهم فأبى ذلك وقال: ما كنت لآوي طرداء رسول الله ﷺ. ثم لما استخلف عمر كلّمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر. فلما استخلف عثمان أدخلهم المدينة وقال: قد كنت كلّمت رسول الله فيهم وسألته ردّهم فوعدني أن يأذن لهم فقُبض قبل ذلك، فأنكر المسلمون عليه إدخاله إياهم المدينة» أنساب الأشراف ٤/١/٥١٣ ـ ٥١٤.